النفاق والمنافقون

د / نزهة عبد الرحمن زايد
جامعة الأزهر الشريف
المدرس بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بالإسكندرية
قسم التفسير وعلوم القرآن

المقدمـــــة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

أما بعد.....

فإن العلم بالأعمال التي تقرب إلى الخالق سبحانه هو ما يحرص عليه المسام الصادق حتى يفعل من صالح الأعمال ما يحبه مولاه، ولا يستعظم المؤمن ما يقدمه لربه من نفس أو مال فإن النفس إلى موت والمال إلى فوت ويشفق قلبه من كل عائق يحول بينه وبين الله تعالى، ويخاف من كل قاطع يقطع. عليه الصراط المستقيم الذي بدايته الطاعة، ونهايته الجنة.

وإن أكبر المصائب، وأعظم المعوقات عن الله تعالى استيلاء النفاق على القلب، أو مخالطته للأعمال، كيف لا وقد كان سلف الأمة رضي الله عنهم يخافون من النفاق أشد الخوف، لما يعلمون من خطره، ولما يتبين لهم من ضرره، فقد قال البخاري رحمه الله في صحيحه : وقال ابن أبي مليكه : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه. (١)

إن النفاق خصلة ذميمة وخلق مشين يضر بالفرد والجماعة، فهو أسلوب ماكر يلجأ إليه الأعداء عندما لا يستطيعون مجابهة الحق ولا مواجهة التيار الإسلامي العنيف بصورة واضحة ظاهرة.

لن تبتلى الأمة الإسلامية قط في ماضيها ولا حاضرها ولا في مستقبلها، بأخطر من النفاق والمنافقين، فالمنافقون أعظم ضررا وأكثر خطرا وأدوم مصيبة على الإسلام والمسلمين من إخوانهم الكافرين، لأنهم من بيننا، ويتكلمون بألسنتنا، ويرفعون شعاراتنا، ويتظاهرون بإسلامنا، وينتمون إلى جماعاتنا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

وفرقنا، ومع ذلك لاييأسون ولا يفترون عن الكيد لنا، ويتعاونون مع أعدائنا، ويوالونهم أكثر من موالاة المسلمين، ولذلك فقد حذر الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين من خطرهم.

وقد شدت انتباهي هذه الفئة في مجتمعنا الحالي إذ رأيتها تريد المحافظة علي بعض مصالحها الدنيوية فهي لاتريد التفريط بها أو فقدانها باستخدام أساليب ماكرة وطرق ملتوية فالنفاق باعتباره خطرا يهدد المجتمع بل الوجود الإسلامي مما يستلزم الانتباه إليه والحذر منه.

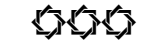

تعريف النفاق:

النفاق لغة:مصدر نافق، يقال نافق ينافق نفاقا ومنافقه، وهو مأخوذ من النافقاء وهو أحد مخارج اليربوع من حجرة فإنه إذا طلب من واحد هرب إلى الأخر وخرج منه، وقيل هو من النفق وهو السرب الذي يستتر فيه [١].

وأما النفاق في الشرع فمعناه: إظهار الإسلام والخير، وإبطان الكفر والشر، سمي بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب ويخرج منه من باب آخر، وعلى ذلك يقول الله تعالى فيه(**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**)[٢] أي الخارجون من الشرع.

وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري[٣]النفاق لغة: مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه.

وجعل الله المنافقين شرا من الكافرين فقال(**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**) [٤].

وقال تعالى(**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**) [٥].

وقال تعالى (**يخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**) [٦].

(١) النهاية لأبن الأثير حـ(٥) صـ(٩٨)
(٢) سورة التوبة آية (٦٧)
(٣) فتح الباري حـ(١) صـ(٨٩)
(٤) سورة النساء آية (١٤٥)
(٥) سورة النساء آية (١٤٢)
(٦) سورة البقرة آية (١٠،٩)

أنواع النفاق:(النفاق نوعان)

النوع الأول :النفاق الإعتقادي وهو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر– وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية وصاحبه في الدرك الأسفل من النار وقد وصف الله تعالى أهله بصفات الشر كلها كما سأوضحها بعد ذلك وهؤلاء موجودون في زمان ولاسيما عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر فإنهم يظهرون الدخول فيه لأجل الكيد له ولأهله في الباطن، ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويأمنوا على دمائهم وأموالهم، فيظهر المنافق إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به، لايؤمن بالله، وأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولا للناس يهديهم بإذنه وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه، وقد هتك الله أستار هؤلاء المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن الكريم وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة، المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكرفى المؤمنين أربع آيات، وفي الكافرين آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية، لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا، لأنهم منسوبون إليه والى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والفساد(١).

وهذا النفاق ستة أنواع:

١- تكذيب الرسول ﷺ.
٢- تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.
٣- بغض الرسول ﷺ.
٤- بغض بعض ماجاء به الرسول ﷺ.
٥- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.
٦- الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

(١) مدارك السالكين لابن القيم حـ(١) صـ(٣١٣)

النوع الثاني: النفاق العملي وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لايخرج من الملة – لكنه وسيلة إلى ذلك– وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق وإذا كثر صار بسببه منافقا خالصا، والدليل عليه قوله ﷺ { أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر }[١]

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشر وخلصت فيه صفات المنافقين، ومن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق، فالنفاق شر وخطير لذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يتخوفون من الوقوع فيه.

الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

١– أن النفاق الأكبر يخرج من الملة والنفاق الأصغر لايخرج من الملة.

٢– أن النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

٣– إن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

٤– إن النفاق الأكبر في الغالب لايتوب صاحبه ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته، بخلاف النفاق الأصغر فإن صاحبه قد يتوب إلى الله فيتوب الله عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيميه[٢]: وكثيرا ماتعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه، وقد يرد على قلبه بعض مايو جب النفاق ويدفعه الله عنه، والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره، كما قال الصحابة يارسول الله : إن أحدنا ليجد في نفسه ما لئن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال: ذلك صريح الإيمان [٣].

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان رقم (٣٨)

(٢) كتاب الإيمان لأبن تيميه ص٢٦٨

(٣) مسند أحمد (٨٧٩١)

أي حصول هذه الوساوس مع هذه الكراهة العظيمة ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان.

أما أهل النفاق الأكبر فقد قال الله فيهم { **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**}(١) أي إلى الإسلام في الباطن. وقال تعالى فيهم {**أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ** }(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيميه: وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر لكون ذلك لايعلم إذ هم دائما يظهرون الإسلام (٣).

متى ظهر النفاق :

١- لقد كان العهد المكي خاليا من النفاق لأن المسلمين كانوا مستضعفين فلا دولة ولا مغانم فما كان يدخل في الإسلام إلا من أخلص لله تعالى لايخشى قوة فيصانعها، ولا يرجوا منافع لينالها، بل إن الدعوة في مكة مطاردة، وأتباعها مضطهدون يعذبون بأنواع التعذيب من المشركين، لذلك لم يكن إلا إسلام خالص أو كفر صريح أما بعد هجرة الرسول ﷺ فقد تغير الحال وأصبح الإسلام قوة تخشى واشتبك المسلمون مع عدوهم في قتال كان لهم النصر من الله تعالى في بدر وما بعدها، فدخل المنافقون في الإسلام ظاهرا لمصالح عاجلة، تفوت في نظرهم لو لم يتظاهروا بالإسلام، ومنهم عبد الله ابن أبى سلول وكان رأسا في المدينة، وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم، فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه، فبقى في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت واقعة بدر قال [هذا أمر قد توجه] فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب (٤)

(١) سورة البقرة آية (١٨)
(٢) سورة التوبة آية (١٢٦)
(٣) مجموع فتاوى ابن تميمة جـ(٢)
(٤) صفة النفاق والمنافقين للفريابي

قال تعالى **{وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَاتَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}**(١)
صفاتهم:لاتختلف صفات المنافقين عن الكافرين إلا ببعض ما تستدعيه ظاهرة التستر والإخفاء، فهم ولكونهم غير مؤمنين بالله أو غير مستلزمين بالإسلام، فإنهم لايخافون الله ولا يرهبونه، ولهذا فإن تصرفاتهم تكون انعكاسات لعقيدة فاسدة تستقر في قلوبهم، وبالتالي فهم ومهما حاولوا إخفاء الشخصية الحقيقية وطولها بطلاء الإيمان والورع فإنهم لن يستطيعوا أن يحافظوا على ذلك الإخفاء، ولابد من أن ينضح الإناء بما فيه، وتنكشف حقيقتهم أمام الناس.

وقد هتك الله أستارهم، وكشف أسرارهم، وأظهر مخبوء صدورهم، وأخرج أضغناهم وجلي أمرهم لعباده المؤمنين لعظم ضررهم وشدة البلية بهم ليحذروهم، ولأ لا يتلبسوا ببعض صفاتهم، قال تعالى :
{وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}(٢).

ولذلك فقد ورد الحديث في القرآن الكريم عن النفاق والمنافقين في سبع عشرة سورة مدنية من جملة ثلاثين سورة، واستغرق ذلك قرابة ثلاثمائة وأربعين آية، حتى قال ابن القيم رحمه الله (٣) :كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم لكثرتهم على ظهر الأرض، وفي أجواف القبور، فلا خلت بقعة الأرض منهم لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات، وتتعطل بهم أسباب المعايش، وتخطفهم الوحوش والسباع في الفلوات. سمع حذيفة رضي الله عنه رجلا يقول :اللهم اهلك المنافقين، فقال :يابن أخي لو هلك المنافقون، لاستوحشتم من طرقاتكم من قلة السالك.

ويمكن أن نجمل أهم الصفات التي يتمتع بها المنافقون كما يلي:

١– الكذب:هو الصفة الغالبة على أعمال المنافقين وأبرزها، فهو شعار أعمالهم وهو الذي جرهم إلى الفجور والآثام، فهم كاذبون مع ربهم، ومع المؤمنين،

(١) سورة التوبة آية(١٠١).
(٢) سورة محمد آية (٣٠).
(٣) مدارك السالكين لابن القيم جـ(١) صـ(٣٢٢).

وكاذبون في الدنيا والآخرة، وكاذبون مع الكافرين، وكاذبون مع أنفسهم، أما كذبهم مع ربهم فهم يعاملون الله تعالى معاملة المخادع لا معاملة المخلص، معاملة الكاذب لامعا ملة الصادق، قال الله سبحانه وتعالى **{يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}**(١) أي يظهرون الإيمان بألسنتهم ويضمرون الكفر بقلوبهم، اعتقادا منهم أن ذلك كله هو الفطنة، وأن عملهم هذا نافعهم عند الله، ولو علموا أن الله تعالى أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عدداً وأنه يعلم السر وأخفى لو علموا ذلك لكان هذا زاجرا لهم عن مخادعة الله تعالى، فإن العاقل يأنف أن يخادع مخلوقا مثله إذا علم أن لديه من العلم ما يعرف به خداعه، ولكن المنافقين لقلة فقههم وعلمهم وعزوب عقولهم يظنون أن أمرهم على السداد، وأنهم سالكون سبيل الرشاد.

ومن كذبهم مع ربهم أنهم إذا قاموا إلى الصلاة التي هي عماد الدين والتي بنى الإسلام الذي تظاهروا به عليها ـ قاموا كسالى متثاقلين كارهين، متباطئين، لأنهم كاذبين في معاملاتهم لربهم، لارغبة لهم فيها، ولا خشوع ولا يعقلون معناها، فلا أثر للصلاة عليهم بالبعد عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى :
{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}(٢).

فإقامتهم للصلاة لمراءاة الناس فقط، لاإخلاص فيها، فهي عليهم ثقيلة، قال الرسول ﷺ {أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون مافيهما لأتوهما ولو حبوا}(٣).

وقد وصفهم الله بقوله { **وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** } أي لايصلون إلا صلاة قليلة

أو في صلاتهم ساهون غافلون، كذلك في غير الصلاة لايذكرون الله إلا نادراً كأن تصيبهم مصيبة أو يقعوا في هلكة، وقال رسول الله ﷺ {تلك صلاة المنافقين تلك صلاة المنافقين تلك صلاة المنافقين يجلس يرقب الشمس حتى

(١) سورة البقرة آية (٩).
(٢) سورة النساء آية (١٤٢)
(٣) صحيح مسلم (٢٧٨٤) باب صفات المنافقين وأحكامهم

إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لايذكر الله فيها إلا قليلاً }[1] فهم يؤخرون الصلاة عن وقتها الأول، فالصبح عند طلوع الشمس والعصر عند الغروب، وينقرونها نقر الغراب، إذ هي صلاة بالأبدان، لاصلاة بالقلوب ويلتفتون بها التفات الثعلب إذ يتيقن أنه مطرود مطلوب لا يشهدون الجماعة، بل إن صلاها أحدهم ففي البيت أو الدكان.

تلك هي معاملتهم للخالق[2]، فما بالنا بمعاملتهم للخلق أنها كما قال فيهم رسول الله ﷺ {**إذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان** }.

وحال المنافقين تبعث الوجل في القلب، والإشفاق من لوثة النفاق أن يكون المسلم مفرطا في صلاته أو ساهياً أو غافلاً، فمن أراد النجاة فليحاسب نفسه وليزن عمله قبل أن يحصل مافي الصدور، وتبلى السرائر.

كذلك من كذبهم في معاملتهم لربهم لا يؤدون الزكاة بسماحة عطاء، بل يؤدنها بتثاقل وكراهية، وانقباض، ينفقونها لينالوا الثناء والمدح من الناس، قال تعالى

{وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ}[3].

وأما كذبهم مع المؤمنين فهو إظهارهم محبتهم ومودتهم، وهم في الباطن عدو لهم، وحرب عليهم يتربصون بهم الدوائر، فهم لايريدون للإسلام نصرة، ولا لحزب الله رفعة، قال تعالى{**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شياطينهم قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** }[4] إنهم يتجنبون مجالسة المؤمنين كثيراً لأنهم لايأنسون بهم، ولكن إذا جمعهم مكان أو التقوا في الطريق (قالوا آمنا) إنهم مدفوعون بالرغبة إلى مجالسة شياطينهم وهم اليهود، والأنس والفرحة قد تملك قلوبهم،

(١) صحيح مسلم (٦٢٢) المساجد ومواضع الصلاة
(٢) مدارك السالكين جـ(١) صـ(٣١٩)
(٣) سورة التوبة آية (٥٤).
(٤) سورة البقرة آية (١٤،١٥).

فالإنسان لايخلو إلا بمن يأنس به ويبوحون بما يخبئونه في ضمائرهم (إنا معكم) في الباطل، ويحكي القرآن عنهم ذلك ويبين عقابه لهم بقوله تعالى{**الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون** } فإنهم لايفلتون من عقابه تعالى، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه {وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه}[١].

۞۞۞

٢:خلف الوعد:

إضافة إلى الكذب التي يتميز بها المنافق فهو لايتناهى عن إخلاف الوعد والخيانة ويعتبر ذلك فرع من الكذب لكنه من أخطر أنواعه، وأضرها بمصالح الناس، لأنه قد تضيع حقوق العباد المتعلقة بالموعود، إضافة إلى أنه يزرع العداوة والبغضاء والحقد، ويؤدي إلى الانتقام وإثارة الفتن، وينزع الثقة والصدق من صاحبه، وقد وصفهم الله

قال تعالى { **وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**}[٢] كما وصفهم الرسول ﷺ بقوله {آية المنافق ثلاث:إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف إذا أؤتمن خان} [٣]. وفي رواية وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم [٤].

كما روى عنه ﷺ أيضاً{أربع من كن فيه كان منافقاً ومن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر }[٥] وذلك عكس صفات المؤمنين التي ذكرها الله تعالى

(١) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزى(٥٧٨/٢)،٤٨٢٠ ورواه البخاري ومسلم
(٢) سورة التوبة آية (٧٧.٧٥)
(٣) صحيح البخاري في كتاب الإيمان (٢٤) باب علامة المنافق
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي جـ(١) (٤٦،٤٧)
(٥) فتح الباري جـ(١) صـ(٨٩) اللؤلؤ والمرجان فيما أتفق عليه الشيخان رقم (٣٧).

بقوله **{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}**[١] وقوله **{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}**[٢]. والتي أمر سبحانه بها بقوله{ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا** }[٣].

قال تعالى{أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا}[٤]. هذه هي صفات المؤمنين إذا وعدوا أوفوا أما المنافقين إذا وعدوا لم يوفوا، وإن ضاقت بهم الأمور تخلو عن أوليائهم وأقرب الناس إليهم وقد حكي الله تعالى عنهم
بقوله{**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ معهم وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثم لاينصرون** }[٥] وهم يعلمون من أنفسهم أنهم كاذبون قال تعالى **{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** }[٦] فهم لاهمّ لهم إلا مصلحتهم الذاتية فإذا لاحت لهم نقضوا للوصل إليها العهود والمواثيق، وداسوا الأخلاق وتخطوا الحواجز والموانع، هذه هي معاملتهم للخلق وتلك معاملتهم للخالق سبحانه.

٣-التردد بين الإيمان والكفر :

وصف القرآن الكريم المنافقين بالتردد في آيات كثيرة منها قوله تعالى:

(١) سورة المؤمنون آية (٨)،سورة المعا رج آية (٣٢)
(٢) سورة الأحزاب آية (٢٣)
(٣) سورة الإسراء آية (٣٤).
(٤) سورة النحل آية (٩١)
(٥) سورة الحشر آية (١٢،١١)
(٦) سورة المنافقون آية (١)

{مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا}(١)

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال {مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة}(٢). قال النووي :العائرة المترددة الحائرة لاتدري لأيهما تتبع، ومعنى تتردد وتذهب. (٣)

قال تعالى{ **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}**(٤).

أي يتحيرون، يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى وليست لهم قدم ثابتة في شيء، حيارى هلكى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء(٥).

وقال تعالى{**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**}(٦) فنفاقهم وكذبهم بسبب إظهارهم للإيمان ثم كفرهم فختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم، فهم لايفقهون أيهم أنفع لهم الإيمان أم الكفر.

ومنه أيضاً قوله تعالى {**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا**}(٧) أخبر الله تعالى عنهم بأنه لم يكن ليغفر لهم ذنوبهم ولا يهديهم سبيلاً يتوصلون به إلى الحق ويسلكونه إلى الخير لأنه يبعد منهم كل البعد أن يخلصوا لله ويؤمنوا إيمانا صحيحا فإن هذا الاضطراب (فهم تارة يدعون أنهم مؤمنون وتارة يمرقون من الإيمان ويرجعون إلى ماهو دأبهم وشأنهم من الكفر المستمر والجحود الدائم) مما يدل أبلغ دلاله على أنهم متلاعبون بالدين ليست لهم نية صحيحة

---

(١) سورة النساء آية (١٤٣).
(٢) أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم
(٣) شرح صحيح مسلم(١٢٨/١٧)
(٤) سورة التوبة آية (٤٥)
(٥) تفسير ابن كثير جـ(٢) صـ(١٢٦).
(٦) سورة المنافقون آية (٣).
(٧) سورة النساء آية (١٣٧).

إنهم قد أضلهم الشك والارتياب في كل قيمة تعرض لهم، وفي كل عقيدة تعرض عليهم، فهم مستعدون للتخلي عن الإيمان أو عن الكفر في أي وقت دون شعور بالحرج الذي تكشف عنه هذه النقيصة الخلقية التي تهز الذات، وتمسح الشخصية، وتفقدها الثقة في المجتمع، إنهم بسبب ترددهم يتعاملون مع الناس بوجهين، وجه إلى الحق زائف مشوه لايستند إلى عقيدة، ولا يتغلغل في وجدان، ووجه إلى الباطل يخفى حينا ويظهر في حين آخر، ولكنه في الحالتين عميق الجذور في القلب والوجدان [١].

يظهر انتسابهم الزائف إلى الحق إذا خافوا الخسران المادي، أو الأذى الجسدي، أو نقصان الجاه والسلطان، فإذا اطمأنوا إلى تحقيق تلك المصالح الدنيوية في فترة من فترات حياتهم، يلتزمون بالباطل يدافعون عنه، وقد بين القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى { **الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**}[٢].

وقوله تعالى{ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ**}[٣].

ومنه قوله تعالى أيضاً{**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**}[٤].

ومن الآيات التي تبين ترددهم أيضاً قوله تعالى { **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا**}[٥] يظل التصرف الأحمق والسلوك الطائش علامة مهمة من

(١) صفة النفاق وذم المنافقين لأبي بكر الفريابى
(٢) سورة النساء آية (١٤١)
(٣) سورة العنكبوت آية (١٠).
(٤) سورة التوبة آية (٧٥،٧٦).
(٥) سورة النساء آية (٦١،٦٢).

علامات المنافقين، فهم لايملكون الوعي الذي يستطيعون به التميز بين الأشياء، ولا الإيمان الذي يضمن لهم الاستقامة والورع، لهذا فإن تصرفاتهم الخارجية تكون انعكاسا لسريرتهم الخبيثة وقلوبهم المريضة وعقولهم التي يغمرها الجهل، ويبقى سلوكهم بصورة عامة غير متسم بالاتزان والتعقل.

إنهم من أجل الوصول إلى ما يريدون، أي لكي يؤدوا الدور النفاقى على أتم وجه ولكونهم أصلاً لا يستندون على قاعدة عقائدية، ولا يملكون مؤهلات أخلاقية، لهذا يجدوا أنفسهم مرغمين على التكون وفقا للظروف والأحوال، كما لا يجدوا حرجاً فى أن يظهروا بمظاهر مختلفة حسب ما يمليه عليهم المخطط والهدف، كما أنهم لا يمانعون في أن يخضعوا لهذا، ويتزلفوا لذلك، ويركعوا عند الأقدام، ويقبّلوا الأيادي، ويمدحوا من لايستحق المدح، وينتقصوا من شأن من لاغبار عليه، فهم مكلفون بدور لابد من أدائه ومهمة لابد من نجاحها حتى وإن كان على حساب عناصر الكرامة في أنفسهم، إن كانت لهم كرامة.

٤- نبذهم الوحي والإعراض عنه

لقد وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يخضعون باطناً وظاهراً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأنهم يستجيبون لما دعاهم إليه ربهم، قال تعالى{**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}[١] لأن الله تعالى أمرهم بذلك في قوله{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**}[٢] فعند التنازع والاختلاف توزن الأمور بميزان الوحي، ويرضى المؤمنون ويظهر الحق، وهذا مظهر من مظاهر محبة المؤمنين لله ورسوله وهو الرضي بحكم الله، وحال المنافقين بخلاف هذه الحال إذا دعوا إلى الله ورسوله ليفصل بينهم في المنازعات، ويهديهم من الضلالات، ويخرجهم من

(١) سورة النور آية (٥١).
(٢) سورة النساء آية(٥٩)

الظلمات، أعرضوا ورفضوا حكم الله ورسوله وصرفوا الناس عنه ومنعوهم من الوصول إليه، قال تعالى{**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا**}(١)

وإن كان لهم نفع وحق طلبوه بحكم الله وأقبلوا خاضعين قال تعالى{**وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ، وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ**}(٢).

هذا الإعراض منهم لايضر الله شيئاً، وما وافق أهوائهم فلن ينفعهم، وقد نفى الله الإيمان عنهم في قوله تعالى{ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**}(٣).

إنهم مرة يتحاكمون إلى الطاغوت ومرة إلى الوحي، ولكن تحاكمهم إلى الوحي قليل، وذلك هو قوله تعلى{**وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ**} (٤)، قوله{**فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا**}(٥).

فهم يقدمون التحاكم إلى الطاغوت ولا يتحاكمون إلى رسول الله ﷺ إلا إذا ألمت بهم الشدائد، وأحاطت بهم المصائب، ويعتذرون عن سوء صنيعهم وعدولهم عن كتاب الله وسنة رسوله بالحلف إنا ما أردنا إلا الخير والتوفيق بين الخصمين.

ويوجه الله نبيه ﷺ إلى الإعراض عنهم موضحاً له مافى نفوسهم، ويعظهم ويخوفهم من عذابه تعالى فيقول جل شأنه{**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**}(٦).

---

(١) نفس السورة آية(٦١)
(٢) سورة النور آية(٤٨،٤٩)
(٣) سورة النساء آية(٦٠).
(٤) سورة النور آية(٤٩).
(٥) سورة النساء لآية(٦٢).
(٦) سورة النساء آية(٦٣).

إن سور القرآن تزيد المؤمنين إيماناً، أما المنافقين فلا تزيدهم إلا نفاقاً وإعراضاً، لأنهم أغلقوا قلوبهم عن الهدى الإلهي، بل تزيدهم استهزاءاً واستخفافاً بالقرآن الكريم، وذلك هو قوله تعالى{**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**}(١).

إنهم يخافون من سور القرآن لأنها تفضحهم، وتبين سرائرهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين جميعاً، قال تعالى{**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ**}(٢).

ومع كل هذه الفضائح التي تفضحهم بها سور القرآن الكريم إلا أنهم يصرون على نفاقهم، ولا يتوبون ولا يرجعون، وهذا قوله تعالى{**أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ**}(٣).

إنهم لا يصبرون على سماع القرآن، إذا سمعوا عيبهم وهم في مجلس النبي ﷺ قاموا فانصرفوا، قال تعالى{**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**}(٤).

إنهم بلغ بهم الأمر كلما سمعوا سورة استهزؤوا بها وطعنوا فيها، وأخذوا فى التغامز والتضاحك، وقال بعضهم لبعض:هل يراكم أحد؟ يقصدون من المسلمين، فهم يريدون الخروج من المجلس حتى لا يسمعوا فضائحهم قبل أن يراهم أحد من المسلمين(٥).

إن الله صرف قلوبهم عن الإيمان فلا يعون شيئاً مما سمعوا، قال تعالى{**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آَنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**}(٦).

---

(١) سورة التوبة آية(١٢٤،١٢٥).
(٢) سورة التوبة آية(٦٤).
(٣) نفس السورة آية(١٢٦).
(٤) نفس السورة(آية(١٢٧).
(٥) تفسير الرازي ج ١٦ ص١٧٦
(٦) سورة محمد آية(١٦).

اتبعوا أهواءهم في الكفر والعناد فلم يؤمنوا ولا توجهت قلوبهم إلى شيء من الخير على الإطلاق وكأنهم لم يسمعوا شيئاً، قال تعالى{**وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ**}(١) أي لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك بل خرجوا كما دخلوا.

٥- عداوتهم للرسول ﷺ وللمؤمنين

لقد صرح القرآن الكريم بعداوتهم ومخادعتهم لله تعالى وللرسول ﷺ وللمؤمنين، وذلك في أول ما نزل فيهم، بقوله تعالى{**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**}(٢) إن خداعهم بإظهارهم الإيمان وإبطانهم الكفر، ولا يشعرون أن نتيجة الخداع لاتعود إلا عليهم.

وقوله تعالى{**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ**}(٣) يتهمون رسول الله ﷺ وأصحابه بالسفاهة، ويرد الله تعالى عليهم بأنهم هم السفهاء، ويؤكد ذلك بعدة مؤكدات وهى (ألا) الاستفتاحية، و(إن)التي للتأكيد، وضمير الفصل (هم).

وقوله تعالى{**إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**}(٤) **يَعْمَهُونَ**}(٤) أي أنهم

مستهزئون برسول الله ﷺ والمؤمنين، فيعاقبهم الله تعالى بمثل فعلهم، كما في قوله تعالى{**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا**}(٥)، وقوله{ **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**}(٦).

كما يمد الله في أعمارهم ليزيدوا من عصيانهم، فيزيد الله من عقابهم، قال تعالى{إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}(٧).

---

(١) سورة المائدة آية(٦١).
(٢) سورة البقرة آية(٩).
(٣) سورة البقرة آية(١٣).
(٤) نفس السورة آية(١٤،١٥).
(٥) سورة غافر آية(٤٠)
(٦) سورة البقرة آية(١٩٤).
(٧) سورة آل عمران آية(١٧٨).

ومن استهزائهم أيضا برسول الله ﷺ ماجاء في سبب نزول قوله تعالى{**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**}[1] بينما رسول الله ﷺ يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا:انظروا، هذا يفتح قصور الشام ويأخذ بني الأصفر، فأطلعه الله تعالى على مافى قلوبهم وما يتحدثون به، فقال{احبسوا علىّ الركب}ثم أتاهم فقال{قلتم كذا وكذا}فحلفوا ماكنا إلا نخوض ونلعب، أي كنا غير مجدين،وقد أخرج ابن جرير الطبري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:رأيت قائل هذه المقالة وديعة بن ثابت متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ يماشيها والحجارة تنكبه، وهو يقول:إنما نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول{**أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**}[2].

بلغ من عداوتهم لرسول الله ﷺ أنهم يريدون إيقاع الضرر به في كل الأوقات، ولا يقع الضرر إلا عليهم، لأن الله تعالى عاصمه من الناس، وذلك فضل من الله ورحمة، قال تعالى{**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**}[3].

ومن عظيم عداوتهم أيضاً له ﷺ وللمؤمنين، والتي تدل على خبث ضمائرهم، وسوء أفعالهم، المساءة بالحسنة والفرح بالمصيبة، مما يدل على أنهم بلغوا الغاية في العداوة، قال تعالى{**إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ**}[4] ولا يعلمون أن كل ماينالله الإنسان من خير أوشر إنما هو بقدر الله وقضائه، فيجب على المؤمن أن

(١) سورة التوبة آية(٦٥).
(٢) تفسير الطبري ج(١٤) ص٣٣٢
(٣) سورة النساء آية (١١٣).
(٤) سورة التوبة آية (٥٠).

يتوكل على الله وحده ولا يتوكل على غيره، قال تعالى{**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**}(١).

أيضاً يطعنون فيه ﷺ بسبب أخذ الصدقات من الأغنياء، ويقولون إنه يؤثر بها من يشاء من أقاربه وأهله، وينسبون إليه ﷺ عدم مراعاة العدل، فقد روى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال:بينما رسول الله ﷺ يقسم قسمة إذ جاءه رجل من المنافقين فقال:اعدل يارسول الله، فقال{ويحك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟}فقال عمربن الخطاب رضي الله عنه:ائذن لي فأضرب عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم{دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه معصيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية}(٢) وفيهم نزل قوله تعال{**وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**}(٣).

ولو رضوا بما أعطى لهم لكان خيرا لهم، ولو رغبوا فيما عند الله في الآخرة لكان أفضل لهم وخير، وذلك هو قوله تعالى{**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ**}(٤).

ومن طعنهم أيضاً في رسول الله ﷺ قولهم هو أذن سامعة، يسمع كل مايقال له فيصدقه، أي لايفرق بين الحق والباطل، اغترارا منهم بحلمه وصفحه عن جناياتهم كرماً وحلماً وتغاضياً، فيبين الله لهم أنه يسمع الخير ولا يسمع الشر، يصدق بالله تعالى وحده، يصدق المؤمنين لاالكافرين ولا المنافقين،وأنه ﷺ رحمة للمؤمنين لأنهم خالصين في إيمانهم، ويتوعد من يؤذيه ﷺ بالعذاب الأليم(٥)، قال تعالى{**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ**

(١) سورة التوبة آية(٥١).
(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٦٤٢
(٣) سورة التوبة آية(٥٨).
(٤) سورة التوبة آية(٥٩).
(٥) فتح القدير للشوكانىج٢ ص٤٦٧

لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(١).

إنهم تجرءوا عليه ﷺ بالنيل من عرضه وإشعال نار الفتنة بين المسلمين، وذلك في مقابل فضيحتهم التي فضحتهم بها آيات القرآن، ولأن عادتهم وصفتهم

الأساسية الكذب والافتراء على المؤمنين، حيث نسبوا ورموا السيدة عائشة رضي الله عنها وهى أحب زوجات الرسول ﷺ إليه، بما لاتستحق أن ترمى به، فبرأها الله مما قالوا، وتوعدهم بالعذاب العظيم، قال تعالى**{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**(٢).

بلغ الأمر منهم مايفوق التصور إذ يرمون الله تعالى ورسوله ﷺ بالزور، وذلك حتى تكون حجة لهم في الهروب من القتال، قال تعالى**{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا، وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا}**(٣).

إنهم يستهينون برسول الله ﷺ أشد الاستهانة بسبب كراهيتهم الشديدة وحقدهم له، مما جعلهم يصدون الناس عنه ويريدون إخراجه من المدينة، قال تعالى**{ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ، يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}**(٤).

فكل همهم أن لا يجتمع المسلمون حول رسول الله ﷺ فتضعف بذلك شوكتهم، وتكون لهم هم السيادة في الأرض، إنهم يحاولون بكل الطرق

(١) سورة التوبة آية (٦١).
(٢) سورة النور آية(١١).
(٣) سورة الأحزاب آية(١٢،١٣).
(٤) سورة المنافقون آية(٧،٨).

والوسائل مهما بلغت حقارتها صد الناس عن رسول الله ﷺ، قال تعالى{**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا**}(١).

يريدون الكفر للمؤمنين كما كفروا هم، وذلك عناداً وغلواً، وتمادياً في الضلال، قال تعالى{**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**}(٢).وإذا كان الأمر منهم كذلك فلا تتبعوهم على الإطلاق، فقد نهى الله سبحانه عن موالاتهم، وأمر بقتالهم.

إنهم لايضيعون أي فرصة لاتهام المؤمنين بالاغترار بدينهم حتى يبعدونهم عن رسول الله صلى عليه وسلم، ويوقعوا بهم الهزيمة والغلبة، قال تعالى{ **إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}(٣).

بل أرادوا أن يضروا المسلمين أكبر الضرر بتفريق جماعتهم تحت غطاء الإسلام الذي يظهرونه، فيسعون جاهدين إلى تقطيع الأواصر الإسلامية المتلاحمة، وتفتيت القوى المتحدة، وتبديد الطاقات المؤمنة، قال تعالى{**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**}(٤) اتخذوا مسجدا يتظاهرون فيه بالصلاة، يريدون بذلك أن يفرقوا جماعة المؤمنين، لأنهم قالوا نبنى مسجدا فنصلى فيه، ولا نصلى خلف محمد، فإن أتانا فيه صلينا معه، وفرقنا بينه وبين الذين يصلون في مسجده، فيؤدى ذلك اختلاف الكلمة وبطلان الألفة.

وقد نهى الله نبيه ﷺ عن القيام فيه وأمره بالصلاة في مسجد قباء الذي أسس على التقوى، وعلى طاعة الله قال تعالى{**لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ**

(١) سورة النساء آية(٦١)
(٢) سورة النساء آية (٨٩).
(٣) سورة الأنفال آية(٤٩).
(٤) سورة التوبة آية(١٠٧).

عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}[1] فمن يقم عمله على أساس تقوى الله ومرضاته فإن عمله يبقى ويسعد به، وينال به الخير، أما من يقيم عمله على النفاق والشك وعدم الإخلاص لله فإنه لن يدوم وسيشقى به في الدنيا، ويلقى به العذاب في جهنم، وهو كمن أقام بناء على جرف هار تهدمه السيول وتجرفه، فليس له من الأساس مايحميه منها، وهذا البناء لايثبت ولا ينتفع به صاحبه، بل سينهار به ويهلكه، والله سبحانه لايوفق للرشاد من كان بفعله مخالفاً أمر الله تعالى ورسوله ﷺ، قال تعالى{**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**}[2].

إنهم ببنائهم لمسجد ضرار منافقون شاكون في دينهم، وازدادوا نفاقاً وتصميماً على الكفر بهدم رسول الله ﷺ لمسجدهم هذا، حيث أصابهم الغيظ الشديد والغضب العظيم، وقد دلّل سبحانه على استمرار هذه الريبة إلى أن يموتوا، قال تعالى{**لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**}[3].

٦–موالاتهم للكافرين أصل الولاء المحبة والمودة، وأصل العداوة البغض والكراهية.

من أبرز مظاهر عداوة المنافقين لرسول الله ﷺ ودعوته حبهم وموالاتهم للكافرين وبغضهم ومعاداتهم للمؤمنين، ولذلك فهم يتخذونهم أولياء من دون المؤمنين، فيعاشرون الكافرين ويصادقونهم ويود ونهم، ويحاولوا نصرتهم ويشدوا من أزرهم، مرة لأنهم يريدون ارتفاع المنزلة والمكانة، وتعزيز أمرهم أمام الناس، فهم يلوذون بالكافرين معتقدين أنهم يملكون شيئاً من الرفع والخفض بما عندهم من مال وأسباب، ولو كانت قلوبهم سليمة من المرض لعلموا أن مالك العزة رب العزة وأنها لاتنال إلا بطاعته، قال تعالى{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا،

(١) سورة التوبة آية (١٠٨).
(٢) نفس سورة آية(١٠٩).
(٣) نفس السورة آية(١١٠).

الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}(١).

يودونهم طمعاً وأملاً في أن يصرفوا عنهم المكاره، وأن يكونوا في صفهم عندما تدور الدوائر وتختلف الأحوال قال تعالى{**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ**}(٢).

إنهم عندما يرون حال الإسلام في ضعف، والكفر ظاهر في الأرض يقفون مع شهود الأسباب الظاهرة ويظنون بالله ظن السوء، يظنون أن حال الكفر مستقر، وأن أمر الإسلام مضمحل، ولذلك يسارعون في تولى الكافرين، ورد الله عليهم ظن السوء الذي أسروه بقوله تعالى{فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ}وعسى من الله وعد لايخلفه، والفتح ظهور المؤمنين على الكافرين، وأمر الله تعالى كل ماياندفع به شر الكافرين

لصالح الإسلام والمسلمين وهنا يندم المنافقون على مافى أنفسهم، وتتغير الموازين، وتبطل الأسباب التي تخيلوها، قال { **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**}(٣).

إن المنافق لادين له ولاعهد وتأرجحه بين الإيمان والكفر إنما هو لأجل الدنيا، فهي ذاته ودائرته التي يعيش لها ويميل معها حيث مالت ويدور معها حيث دارت.

إنهم يوالونهم ويطيعونهم فيما يطلبونه منهم من مخالفة محمد ﷺ والتظاهر على عداوته والقعود عن نصرته وتهوين أمره في السر، وهم لايدرون أن الله عليم بأسرارهم، قال تعالى{ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ**}(٤).

---

(١) سورة النساء لآية(١٣٨،١٣٩)

(٢) سورة المائدة آية (٥٢).

(٣) سورة يوسف آية(٢١).

(٤) سورة محمد آية(٢٥،٢٦).

إنهم بسبب هذه الموالاة استحقوا سخط الله عليهم والخلود في العذاب، قال تعالى{ **تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**}(١).

٧- الجبن والخوف

إنهم فقدوا الثقة بالله إذ أنه على نصر عباده المؤمنين لقدير، الجبن يسيطر عليهم من كل جانب في ميدان القتال، حتى أنهم كرهوا وخافوا القتل قال تعالى{**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً* وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا، أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**}(٢) بين الله لهم أن متاع الدنيا سريع الزوال وثواب الآخرة خير وأبقى، ثم وضح لهم فساد ماهم عليه من الجبن، لأن الموت واقع لامحالة ولو كانوا في قصور مشيدة.

فهم يعتقدون أن عدم خروجهم للقتال يمنعهم من الموت، قال تعالى{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**}(٣).

نسوا أن كل شيء بيد الله تعالى يصنع مايشاء ويحكم مايريد، فيحي من يريد ويميت من يريد، من غير أن يكون للسفر أو الغزو أثر في ذلك، قال تعالى{**الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**}(٤).

مما يدل على شدة جبنهم أنهم إذا رأوا الأعداء دارت أعينهم فزعاً ورعباً، وحين يزول الخطر يؤذون المسلمين، ويطالبون بالغنائم، قال تعالى{ **أَشِحَّةً**

(١) سورة المائدة لآية(٨٠).
(٢) سورة النساء آية(٧٨،٧٧).
(٣) سورة آل عمرآن آية(١٥٦).
(٤) سورة آل عمرآن آية(١٦٨).

عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}(١).

فعندما رحل الكفار عن المدينة يوم الأحزاب اعتقد المنافقون لجبنهم أن الأحزاب باقون في معسكرهم ولم يرحلوا إلى ديارهم، ولو عاد الأحزاب لبقوا بعيداً يسألوا عن الأخبار من غير مشاهدة للقتال لفرط جبنهم وضعف نياتهم، ولو كانوا مشاهدين للقتال في هذه الغزوة ماقاتلوا إلا قتالاً قليلاً خوفا من العار وحمية على الديار وليس مثل قتال المؤمنين الذين يدافعون عن الإسلام أشد الدفاع، ويريدون به ثواب الآخرة فقط، قال تعالى**{يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا}**(٢).

من شدة جبنهم يفزعون عند نزول الآيات التي تدعوا إلى القتال أشد الفزع، بل يكادون يموتون فزعاً، ينظرون إلى من يحدثهم نظر من جاءه الموت، في حين نرى المؤمنين يسألون ربهم أن ينزل علي رسوله ﷺ يأمرهم فيها بقتال الكفار حرصاً منهم على الجهاد ونيل ماأعد الله تعالى للمجاهدين من جزيل الثواب، قال تعالى**{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ، طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}**(٣).

يقعدون عن القتال ويعتذرون لرسول الله ﷺ، ويثبطون أقربائهم عن الخروج للقتال، ويختلقون الأكاذيب والمعتقدات الباطلة، وذلك كما حدث في يوم أحد، فقد حكي القرآن الكريم عنهم ذلك بقوله تعالى**{وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي**

(١) سورة الأحزاب آية(١٩).
(٢) سورة الأحزاب آية (٢٠).
(٣) سورة محمد آية(٢١،٢٢)

سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(١).

فقد انخزل عبد الله بن أبى بن سلول بثلث الناس، لعدم أخذ رسول الله صلى عليه وسلم بمشورته يوم أحد، فخرج رسول الله لملاقاة المشركين، ورجع عبد الله بمن تبعه من أهل النفاق، وتبعهم بعض المؤمنين يدعونهم إلى القتال وعدم التراجع عن رسول الله ﷺ وخذلانه، فقالوا لهم لو نعلم أنكم تقاتلون لقاتلنا معكم، ولكنا لانرى قتالاً، وأخذوا يبكتون إخوانهم الذين خرجوا للقتال، وقالوا لو أطاعونا ولم يخرجوا من المدينة ماقتلوا، فرد الله عليهم، أن الموت يأتيهم ولو بقوا في بيوتهم، فلا ينفع الحذر من القدر، لأن المقتول يقتل بأجله.

أيضاً تخلفوا عن رسول الله ﷺ يوم الحديبية، وقد أخبر الله نبيه ﷺ أنهم سيختلقون له الأعذار التي منعتهم من الخروج، بأنه ليس هناك من يقوم بأموالهم وأهلهم ويخلفهم عليهم، وذلك كذب يوضح ماتنطوى عليه نفوسهم وبواطنهم، بل الذي منعهم في الحقيقة مازينه الشيطان في قلوبهم بأن العدو يستأصل المؤمنين جميعهم فلا يرجع منهم أحد إلى المدينة، وما ذلك إلا بسبب سوء ظنهم بالله وأنه لاينصر عباده المؤمنين، قال تعالى{ **سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًابَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا}**(٢).

ثم بين الله أنهم سيطلبون من رسول الله ﷺ والمؤمنين الخروج معهم إلى غزوة خيبر لينالوا الغنائم التي وعد الله بها المؤمنين، وخصها لمن شهد الحديبية، كما قال تعالى{**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ**

(١) سورة آل عمرآن آية(١٦٦–١٦٨).
(٢) سورة الفتح آية(١١،١٢)

الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا، وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}(١) وقد أمر الله نبيه أن يخبرهم بألا يتبعوه، لأنهم يريدون بذلك أن يغيروا حكم الله تعالى في هذه الغنائم، فلاتكن خاصة بمن شهد الحديبية، قال تعالى{ **سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا}**(٢).

منع المنافقون من الخروج لخيبر حتى يرجعوا عن نفاقهم، ولحبهم القعود والتخلف عن رسول الله ﷺ حباً لأنفسهم ونظراً أيضاً لما يملأ قلوبهم من الجبن، والفرار وقت اللقاء مما يضعف شوكة المسلمين، أمر الله بعدم السماح لهم بالخروج إذا طلبوه، قال تعالى{ **فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ}**(٣).

وكيف يؤذن لهم بالخروج وهم لم يطلب رسول الله ﷺ الاستنفار في أي غزوة من غزواته إلا ويرفضون طلبه بل يعتذرون إليه بمعاذير كاذبة، ويفضحهم الله تعالى

ويبين كذبهم.

فقد اعتذر أناس من المنافقين عن قعودهم وعدم خروجهم للقتال واستأذنوا رسول الله ﷺ، ولم تكن أعذارهم حقيقية بل كانت لشدة الحر وبعد المسافة، ولأنهم لايثقون بنصر الله تعالى لعباده المؤمنين، ولو كانت هناك غنيمة أو منفعة دنيوية لاتبعوه، يحلفون لرسول الله أنهم لو استطاعوا الخروج لخرجوا وماهو إلا كذب، قال تعالى{ **لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}**(٤)

---

(١) سورة الفتح آية(١٨،١٩).
(٢) نفس السورة آية(١٥).
(٣) سورة التوبة آية(٨٣).
(٤) سورة التوبة آية(٤٢).

وقد عاتب الله نبيه حين وقع منه الإذن لمن استأذنه في القعود قبل أن يعلم من هو صادق في عذره ومن هو كاذب، قال تعالى{**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**}(١) وبين له أنه لايعتذر عن الجهاد في سبيل الله إلا من هو مرتاب في دينه، الذي لايخاف إلا على نفسه فقط، قال تعالى{ **لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ، إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**}(٢).

لقد فرح المخلفون بمقعدهم عن القتال، فتوعدهم الله تعالى بالعذاب الأليم، قال تعالى{ **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**}(٣).

إنهم قد طبع الله على قلوبهم بالكفر وعدم الإيمان على الإطلاق فلا يعرفون مايضرهم وما ينفعهم، فمتى نزلت آية مشتملة على الأمر بالإيمان والجهاد مع رسول الله ﷺ استأذن أولو الثروة والقدرة منهم في التخلف عن
الغزو وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين، أي مع الضعفاء من الناس والزمني والنساء، قال تعالى{ **وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**}(٤)
ولو كانوا يريدون الخروج لأعدوا له العدة وخرجوا للقتال، ولكن قد أحبط الله عزيمتهم حتى لايضعفوا روح المؤمنين عن القتال، قال تعالى{ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ**

(١) نفس السورة آية(٤٣).
(٢) نفس السورة آية(٤٤).
(٣) نفس السورة آية(٨١،٨٢).
(٤) سورة التوبة آية(٨٦،٨٧).

الْقَاعِدِينَ، لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}(١).

إذا خرجوا للقتال لايثبتون ولا يصبرون بل يفرون ويتراجعون لعدم صدق نياتهم لافى إيمانهم ولافى الاستجابة لأمر الله ورسوله، فإنهم لايريدون ثواب الآخرة بل يريدون الغنيمة فى الدنيا، وذلك هو ماحدث يوم الأحزاب حيث أمرت طائفة منهم القوم الذين خرجوا للقتال مع رسول الله ﷺ بالرجوع بحجة أنه ليس لهم مكان يقيمون فيه، وأن بيوتهم عورة يستطيع العدو مداهمتها، ولكن الله يكذبهم لأنهم لايريدون إلا الفرار من القتال قال تعالى{ **وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا، وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا، وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا، قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا}**(٢).

أي أن ماتعللوا به أمام رسول الله ﷺ لايستطيعون التعلل به أمام أعدائهم إنهم قد كانوا عاهدوا الله ورسوله من قبل على الثبات وعدم الفرار من القتال، ولن ينفعهم ذلك الفرار لأن من حضر أجله مات بقتل أو غيره، وإن فرارهم من القتل فذلك متاع قليل زائل، وكل ماهو آت فهو قريب والآخرة خير وأبقى.

إن اختلاقهم للأعذار عن الجهاد لن ينفعهم ويتوعدهم الله تعالى بالعذاب الأليم قال تعالى {**وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} (٣) وأخبر النبي ﷺ بعدم قبول عذرهم على الإطلاق لأنهم كاذبين في أعذارهم وأمر المؤمنين بالأعراض عنهم وهجرانهم لأن أعمالهم قبيحة ونجسه وأن مردهم إلى الله تعالى فيعاقبهم على هذه الأعمال، والآثام التي ارتكبوها، والتي منها عدم خروجهم للجهاد، قال تعالى {**يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا**

(١) نفس السورة آية(٤٦،٤٧).
(٢) سورة الأحزاب آية (١٦،١٣).
(٣) سورة التوبة آية (٩٠).

اللَّـهُ مِـنْ أَخْبَـارِكُمْ وَسَـيَرَى اللَّـهُ عَمَلَكُـمْ وَرَسُـولُهُ ثُـمَّ تُـرَدُّونَ إِلَـى عَـالِمِ الْغَيْـبِ وَالشَّـهَادَةِ فَيُنَبِّـئُكُمْ بِمَـا كُنْـتُمْ تَعْمَلُـونَ سَـيَحْلِفُونَ بِاللَّـهِ لَكُـمْ إِذَا انْقَلَبْـتُمْ إِلَـيْهِمْ لِتُعْرِضُـوا عَـنْهُمْ فَأَعْرِضُـوا عَـنْهُمْ إِنَّـهُـمْ رِجْـسٌ وَمَـأْوَاهُمْ جَهَـنَّمُ جَـزَاءً بِمَـا كَـانُوا يَكْسِبُونَ}[1] وأخبر تعالى إن رضي المؤمنون عنهم فإن الله لا يرضى عنهم بقوله **{يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّـهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}** [2].

أما الضعفاء والشيوخ والمرضى والذين لايجدون ماينفقون فإنه قد سقط عنهم التكليف بالغزو والجهاد، وهم أصحاب الأعذار الحقيقية، لاإثم عليهم بسبب القعود عن الجهاد بشرط أن يكونوا ناصحين لله ورسوله قال تعالى **{لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّـهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }**[3] كما بين تعالى أن من جملة المعذورين هؤلاء الذين أتوك لتحملهم على ما يركبون عليه في الغزو فلم تجد ذلك الذي طلبوه منك، قال مجاهد ثلاثة إخوة :معقل وسويد والنعمان بنو مقرن سألوا النبي ﷺ أن يحملهم على الخفاف المدبوغة والنعال المخصوفة، فقال عليه السلام {لاأجد ما أحملكم عليه } فتولوا وهم يبكون[4]، وإسقاط التكليف عن هؤلاء المعذورين لايستلزم عدم ثبوت ثواب الغزو لهم الذي عذرهم الله عنه مع رغبتهم إليه لولا حبسهم العذر عنه، ومنه حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال :{لقد تركتم بعدكم قوما ما سرتم من مسير ولا

(١) سورة التوبة آية (٩٤،٩٥).
(٢) سورة التوبة آية (٩٦).
(٣) سورة التوبة من آية (٩١-٩٣).
(٤) صحيح البخاري:٢٧٥٠-باب الجعائل والحملان في السبيل

أنفقتم من نفقه ولا قطعتم وادياً إلا وهم معكم فيه }قالوا :يارسول الله وكيف يكنون معنا وهم بالمدينة ؟ فقال {حبسهم العذر}(١).

٨-البخل والشح:

هم بخلاء أشحة بالخير في سبيل الله كرماء في سبيل الشيطان، يعتبرون كل نفقة في سبيل الله ضريبة ثقيلة على النفس، ويتمنون أن تهزم الفئة المجاهدة حتى يعفوا هذه التبعات المادية في سبيل الله (٢)، قال تعالى **{وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** (٣) إنهم يعتقدون أن ماينفق في سبيل الله تعالى غرامة وخسران، ويتمنون أن تدور الدوائر على المسلمين فتلحقهم الهزيمة، فيدعوا الله عليهم بمثل ما تمنوا للمسلمين، لأنه سميع لأقوالهم عليم بأفعالهم.

إنهم يبخلون بالنفقة في سبيل الله، ومع جبنهم وخوفهم من القتال إلا إنهم يتطلعون لأخذ الغنائم إذا أصابوها، فهم في كل الأحوال قليلو الخير، قال تعالى{**أشحة عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**}(٤) إنهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، وأظهر الله نفاقهم، وما يفعلونه من نفاق هينا على الله تعالى، إنهم لايؤمنون حق الإيمان، ولو كان إيمانهم خالصاً لله تعالى لأنفقوا وهم محبين للإنفاق ولكنهم ينفقون بقصد الرياء، واتخذوا الشيطان قريناً لهم قال تعالى{**وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا**}(٥) إنهم بسبب ماهم عليه من الكفر، فلن يقبل الله نفقاتهم وأمر رسوله أيضاً بعدم قبولها قال تعالى **{قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ**

(١) صحيح البخاري:٢٦٢٧-باب من حبسه العذر عن الغزو.
(٢) صفة النفاق وذم المنافقين لأبي بكر الفريابي صـ(١٥)
(٣) سورة التوبة آية (٩٨).
(٤) سورة الأحزاب آية(١٩).
(٥) سورة النساء آية (٣٨).

مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ }(١).

إنهم ينفقونها خشية من الناس لاخشية من الله تعالى، فقد قال تعالى{**لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**}(٢) لو كانوا يخشون الله ويؤمنون به تعالى لأدوا حقه تعالى من صلاة وزكاة مفروضة ولكنهم امتنعوا عن أداء الزكاة، فمنهم من كان عاهد الله لئن أغناه من فضله ليصدقن وليكونن من الصالحين ولم يفي بالعهد، قال تعالى {**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوب }**(٣).

ذكر ابن عباس والحسن البصري أن هذه الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري حيث طلب من رسول الله ﷺ الدعاء له ليرزقه الله مالا يتصدق منه بعد ذلك وعندما آتاه المال بخل التصدق به فأنزل الله قوله {ومنهم من عاهد الله }..الآيات.... فلما سمع ثعلبة بنزول هذه الآيات فيه ذهب إلى رسول الله ليعطيه صدقة ماله فقال رسول الله ﷺ {إن الله منعني أن أقبل منك }حتى قبض رسول الله فأتى لأبي بكر رضي الله عنه، وأتى بعد ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم أتى لعثمان بن عفان رضي الله عنه فلم يقبلوها كما لم يقبلها رسول الله ﷺ ثم توفي ثعلبة في خلافة عثمان بن عفان ﷺ (٤).

٩-الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف

---

(١) سورة التوبة آية(٥٣،٥٤).
(٢) سورة الحشر آية (١٣).
(٣) سورة التوبة آية(٧٥-٧٨).
(٤) فتح القدير للشوكانى ج٢ ص٤٧٩

إنهم لا يتوانون عند سنوح الفرصة في دعوة الناس إلى عمل القبيح وترك العمل الصالح سواء كان بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بالإشارة أو بالتلميح، فهم يستخدمون مالديهم من وسائل في نشر الرذيلة والوقوف بوجه الفضيلة ،قال تعالى **{الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}**[1] .

إنهم متفقون في الفعل يشبه آخرهم أولهم ويماثل بعضهم بعضاً، يصورون المنكر بصورة المعروف، أفعالهم متماثلة في السعي بالفساد والصد عن سبيل الله وإن تراخى الزمان وبعدت المسافة، فهم ليسوا من المؤمنين ولا مثلهم، قال تعالى **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**[2].

إن صفات المنافقين قد زادت عن ما ذكره رسول الله ﷺ من أن خصال النفاق الكذب وخلف الوعد والفجور في الخصومة، وتزيد أيضاً عن هذه الصفات التي ذكرتها، فما نظنه زائداً داخل في الكذب، فإن الكذب هو الذي جرهم إلى الفجور، فعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال{عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً}[3].

و الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف هو الذي يجر القائم به إلى معاداة الناس وكراهيتهم، ويجلب الأذية لصاحبه.

النفاق بين الماضي والحاضر

---

(١) سورة التوبة آية(٦٧).

(٢) نفس السورة آية(٧١).

(٣) سنن الترمذي باب ماجاء في الصدق والكذب،وفتح الباري ج١ ص٥٠٧.

لم يكن النفاق في عهد النبي ﷺ فقط بل استمر بعده صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:والمنافقون مازالوا ولا يزالون إلى يوم القيامة(١).

فهم في الماضي والحاضر أكثر من المؤمنين، ويزداد عددهم ويعظم خطرهم كلما مضى الزمان، وضعف الإيمان، وقويت شوكة الكفار.

وكان النبي ﷺ يخاف على أمته من أئمتهم، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال{إن أخوف ماأخاف على أمتي منافق عليم اللسان}(٢).

كان أبو الدر داء يكثر التعوذ في صلاته بعد التشهد من النفاق، فقيل له :ومالك ياأبا الدر داء أنت والنفاق؟فقال:دعنا عنك فوا لله إن الرجل ليقلب عن دينه في الساعة الواحدة فيخرج منه(٣).

وقال الحسن البصري: ماخافه أي النفاق إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق(٤).

وسبب ذلك ماقاله ابن القيم رحمه الله(٥) لايزال الإسلام منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية، يزعمون بذلك أنهم مصلحون {**ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون**}.

لم ينج من هذا الداء العضال والمرض البطال بعض العلماء في الماضي فكيف بغيرهم وبمن بعدهم؟ فقد كان جماعة منتسبون إلى صحبة النبي ﷺ وإلى ملته، وهم في الباطن مردة المنافقين، قد لايعرفهم النبي ﷺ ولا يعلم بهم، قال تعالى{**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**}(٦).

---

(١) الإيمان لابن تيميةص٣١

(٢) مسند أحمد ج١ص٢٢.١٧٧٧،وقال الهيثمى رجاله موثقون

(٣) أخرجه الفريابى في صفة المنافق ٧٢،وقال إسناده صحيح.والبيهقى في الشعب

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لايشعر

(٥) مدارك السالكين صـ(٣١٣)

(٦) سورة التوبة آية (١٠١).

فإذا جاز على سيد البشر أن لايعلم بعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات، فبالأولى أن يخفى حال جماعة من المنافقين الفارغين عن دين الإسلام بعده عليه السلام على العلماء من أمته.

الآثار كلها تدل على كثرة المنافقين في الماضي والحاضر وخطورتهم على الأمم، بل هم في الحاضر أخطر مما كانوا في الماضي، بدليل ماقاله حذيفة رضي الله عنه:المنافقون الذين فيكم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد الرسول ﷺ، فقيل له:وكيف ذلك؟ فقال:أولئك كانوا يسرون نفاقهم، وإن هؤلاء يعلنون.

ولكن وجود الرسول ﷺ في العهد الماضي واستمرار الوحي قد أمن هذا المجتمع الوليد من غائلة هؤلاء المنافقين، ففضحهم القرآن الكريم كما ذكرت سابقاً في مواضع كثيرة وأزاح الستار عنهم، وعرفهم المسلمون في الغالب وكرهوهم كرها شديداً.

ولفظهم المجتمع فلم يستطيعوا أن يتسربوا فيه ويندمجوا، فضلاً عن أن يحرز واثقة واحتراماً، ويتبوؤا قيادة ورئاسة، وبقى المجتمع الأول صحيحاً وسليماً لم يضعفه النفاق، ولم يعبث به المنافقون، وضعف شأنهم بسبب النظرة الثاقبة للنبي ﷺ والتسديد الإلهي، فقد كان النفاق يبوء بالفشل مرة بعد أخرى.

ولكن النفاق كان ولا يزال خصيصة من خصائص الإنسانية، ونقطة ضعف في كثير من النفوس البشرية، فهو يساير الركب البشري في جميع مراحله ومنازله، وقد هيأت بعض الظروف لنشاطه ونفوذه.

وبقى النفاق يعمل عمله ويثبت وجوده في المجتمع الإسلامي حتى في أوجع عظمته السياسية والحضارية، بل كان أقوى وأنشط في عهود المجد السياسي والمدني لضعف التربية الإسلامية وندرة المربين الربانيين المزكين للنفوس، المهذبين للأخلاق، وفساد نظام التربية في بعض العهود وكونه قنطرة للوصول إلى كراسي الحكم ومراكز القيادة، ولاحتياج الملوك والأمراء إلى الحذاق البارعين في بعض العلوم والآداب والكتابة والإدارة، بصرف النظر عن عقيدتهم وسيرتهم الأخلاقية.

إن أبرز مايتبعه المنافقون اليوم هو قلب الحقائق عن أمرها، فهم يظهرون الحقائق الناصعة والتحركات الإسلامية بمظهر مشوه، وأقوال القيادات الإسلامية بصورة محرفة مما يكون له وقع سيء على أسماع الناس، وبتكرار هذا الأسلوب فإنه يؤدي إلى ضعف العلاقة بين المسلمين والقيادات الإسلامية وبالتالي بينهم وبين الإسلام.

يحاولون توجيه أنظار بعض الناس إلى السلبيات أو إلى قضية عقائدية فيها مجال للتأويل فيثيرون الشبهات حولها بطريقة لاتجلب إلا الانتباه إلى سوء نياتهم مما يؤدي الى خلق عنصر الشك والارتياب في النفوس.

إنهم يسعون جاهدين إلى تقطيع الأواصر الإسلامية المتلاحمة وتفتيت القوى المتحدة، وتبديد الطاقات المؤمنة، وإثارة روح الخلافات الجانبية فيما بينها، وهذا أسلوب يؤدي إلى الهزيمة، ويفسح المجال للأعداء الداخليين والخارجيين.

يتجسسون على المسلمين ويمدون أعدائهم بما يعينهم على ذلك، يغيرون المفاهيم عن طريق الإعلام، ويزرعون الخوف في قلوب الضعفاء.

يعلنون حربهم ويجاهرون بعدائهم للإسلام والمسلمين، بينما كان شيوخهم في الماضي عبد الله بن أبي سلول ومن والاه يستترون من الناس ويستحيون بعض الشيء، ولكن منافقي اليوم نزع الحياء من قلوبهم بسبب اطمئنانهم وتقويهم بقى الشر والعدوان راعية الكفر الخارجية، وهيمنتها الكاملة على العالم ولاسيما العالم الإسلامي.

عقابهم

لقد بين الله وعيده الشديد للمنافقين في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها:

قوله تعالى **{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}**[1]

قال تعالى **{إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}**[2].

، قوله تعالى**{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا}**[3].

(١) سورة النساء آية (١٣٨).
(٢) سورة النساء آية (١٤٠).
(٣) سورة النساء آية (١٤٨)

، قوله تعالى{**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ**}(١) أي لهم ذلك العذاب الشديد وهو نار جهنم بسبب عدائهم لله ورسوله.

، ومنه قوله تعالى{**سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**}(٢). وقد قيل المراد بالمرتين :أي عذاب الدنيا بالقتل والسبي وعذاب الآخرة، وقيل الفضيحة : بانكشاف نفاقهم والعذاب في الآخرة، أو المصائب في أموالهم وأولادهم وعذاب القبر، ثم يردون الى عذاب الآخرة (٣).

وقوله تعالى { **قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**}(٤).

، وقوله تعالى{**لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ**}(٥).

، وقوله تعالى{**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**}(٦).

ومنه قوله تعالى{**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**}(٧). أي يضرب بينهم وبين المؤمنين بحاجز، جانب المؤمنين فيه الرحمة وجانب الكفار والمنافقين فيه العذاب.

الموقف الشرعي اتجاه المنافقين :

---

(١) سورة التوبة آية (٦٣).
(٢) سورة التوبة آية (١٠١).
(٣) فتح القدير جـ(١) صـ(٤٩٥).
(٤) سورة الأحزاب آية (١٧).
(٥) سورة الأحزاب آية (٧٣)
(٦) سورة الفتح آية (٦).
(٧) سورة الحديد آية (١٣).

١ـ عدم طاعتهم، قال تعالى{**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**}(١). فهذا أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يثبت على ماهو عليه من التقوى وعدم طاعة هؤلاء الكافرين والمنافقين لأنهم يريدون رده عن الدعوة الى الله تعالى.

٢. الأمر بالإعراض عنهم وزجرهم.

وقال تعالى {**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**}(٢).

أي دعهم وشأنهم حتى يمكن الانتقام منهم، وتوكل على الله تعالى فإنه ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم.

٣- عدم المجادلة أو الدفاع عنهم:

قال تعالى {**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا**}(٣)

٤- النهي عن موالاتهم والركون إليهم:

قال تعالى {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**}(٤).

٥- جهادهم أينما وجدوا والغلظة عليهم :

---

(١) سورة الأحزاب آية (١).
(٢) سورة النساء آية (٨١)
(٣) سورة النساء آية (١٠٥ .١٠٧).
(٤) سورة آل عمران آية (١١٨,١١٩).

قال تعالى {**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**}(١).

، وقوله تعالى{**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**}(٢).

وقال تعالى{**سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا**}(٣).

٦- تحقيرهم وعدم تسويدهم:

عن بريده رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ {لاتقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيد فقد أسخطتم ربكم عز وجل}(٤).

٧- عدم الاستغفار لهم وعدم الصلاة عليهم:

قال تعالى {**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**}(٥).

، وقال تعالى{ولاتصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون }.

فعن ابن عباس أنه قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول :لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام عليه، فلما وقف قلت :أعلى عدو الله بن أبي القائل كذا وكذا والقائل كذا وكذا أعدد أيامه، ورسول الله ﷺ يبتسم حتى إذا أكثرت قال: ياعمر أخر عني، إني قد خيرت، قد قيل لي :{استغفر لهم أولا تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} فلو أعلم أني إن زدت على

(١) سورة التوبة آية(٧٣).
(٢) سورة النساء آية (٨٩).
(٣) سورة النساء آية (٩١)
(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٧٦٠ ومسند أحمد جـ(١) صـ(٣٤٦)
(٥) سورة التوبة آية (٨٠).

السبعين غفر له لزدت عليها، ثم صلى عليه رسول الله ﷺ ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه، فعجبت لي ولجرأتي على رسول الله ﷺ، فوا لله ماكان إلا يسيراً حتى نزلت { ولا تصلي على أحد منهم مات أبداً } فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعد حتى قبضه الله عز وجل(١).

كيفية الوقاية من النفاق :

إذا كنا قد عرفنا صفات المنافقين وأفعالهم فينبغي على المسلم البعد عنها كل البعد وإتباع صفات المؤمنين حتى ينال فضل الله تعالى وثوابه.

قال تعالى{ **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا}** (٢).

أيضاً لكي يتجنب المسلم الوقوع في النفاق عليه الإكثار من ذكر الله تعالى قال تعالى :{ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** }(٣)

والذكر يكون بالمواظبة على الصلاة في أوقاتها قال تعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي }(٤) وتلاوة القرآن، ويكون بمجالس الذكر ففي الحديث القدسي {من ذكرني في ملأ ذكرته فى ملأ خير منه }(٥)

وذلك لأن قلة ذكر الله هي علامة النفاق كما قال تعالى {وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}(٦)

وقال تعالى {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**} (٧) فنجد أن الله يحذر المؤمنين من أخلاق المنافقين الذين ألهتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله.

---

(١) صحيح البخارى ٤٢٠٣ باب لاتصلى على أحد مات منهم
(٢) سورة الفتح آية (٦،٥)
(٣) سورة الرعد آية(٢٨)
(٤) سورة طه آية (١٤)
(٥) أخرجه البخاري وسلم. الأنصار (١٧) ومسلم في الإيمان (٧٤).
(٦) سورة النساء آية(٩)
(٧) سورة المنافقون آية (٩)

إتباع السلف الصالح فيما كانوا يفعلونه من اتباع محبة من يحبهم رسول الله ﷺ فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال {آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار } [1]

ومحبة الرسول ﷺ فان محبته من محبة الله تعالى، ومما لاشك فيهأن ترك المعصية حبا لله تعالى وخوفا منه من صفات المؤمنين الحقة والإيمان بالله تعالى يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ومن بعد عن صفات المنافقين فقد أطاع الله، واستحق ثوابه تعالى.

(١) أخرجه البخاري في الإيمان باب علاقة حب

الخاتمـــــــة:

وختاماً فعلى المسلمين أن يحذروا مكر هؤلاء، وتدليسهم وتخطيطهم وعليهم أن يواجهوا أي تخريب وفساد بحزم وعزم وشدة، وبرجوع صادق إلى شرع الله المصطفى، وبتوحيد الجهود وتنسيق العمل، ونبذ الخلافات، وتغيير مابهم من ضعف واستكانة وخذلان، فان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وليعلموا أن النصر مع الصبر، وأن الضيق بعده الفرج، وأن الأمر بيد الله، وأن الله غالب على أمره، وناصر لمن نصره، ومتول لمن تولاه، وخاذل لمن عاداه وخالف أمره.

وأسأل الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عن الزلات والهفوات.

واللهم اهدني سبل السلام، وجنبني الفتن والفواحش والآثام، انك ولي ذلك والقادر عليه، وصلي اللهم على محمد خير الأنام وآله وصحابته ومن تبعهم بإحسان.

د / نزهة عبد الرحمن زايد
جامعة الأزهر الشريف
المدرس بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بالإسكندرية
قسم التفسير وعلوم القرآن

المراجـــــع

كتب القرآن الكريم

١) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي / ط عيسى الحلبى – مصر ٠

٢) التفسير الكبير للأمام فخر الدين الرازي أبي عبد الله محمد بن عمر القرشي – دار الكتب العلمية ببيروت ٠

٣) جامع البيان عن تأويل أي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري / ط مصطفي الحلبى – مصر

٤) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / ط دار الكتب المصرية – دار الكتاب العربي القاهرة ٠

٥) الدرر المنثور في التفسير بالمأثور جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٠

٦) فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير تأليف / محمد بن علي بن محمد الشوكاني / ط المكتبة العصرية بيروت ٠

٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي / ط دار إحياء التراث العربي ببيروت ٠

كتب السنة النبوية : ـ

١) سنن الترمذي / ط بيروت ٠

٢) سيرة النبي صلي الله عليه وسلم لأبي محمد عبد الملك بن هشام تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد طبع محمد علي صبيح ٠

٣) صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري / دار إحياء التراث العربي بيروت ٠

٤) صحيح مسلم للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري بشرح الإمام النووي / ط المطبعة المصرية ٠

٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر – دار الكتب العلمية ببيروت٠
٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل دار الكتب العلمية بيروت ٠
٧) مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٣٧ هـ
٨) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان / ط دار الكتب العلمية ببيروت

كتب أخرى :

١) دراسات في القرآن الكريم تفسير موضوعي – د / محمد عبد السلام أبو النيل / ط دار الفكر الإسلامي ٠
٢) صفة النفاق وذم المنافقين لأبي بكر الفرياني / ط دار الكتب العلمية بيروت.
٣) كتاب الإيمان تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية / ط ٣١ المكتب الإسلامي٠
٤) مجموعة فتاوى ابن فتاوى ابن تيمية لشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني ٠
٥) مدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن لقيم الجوزية / ط دار الحديث القاهرة ٠
النهاية لابن الأثير ٠